أثر الدلالة الإيحائية دراسة تحليلية في نهج البلاغة

(خطبة وصف الموت أنموذجاً)

المدرس الدكتور
فضيلة عبوسي محسن العامري
جامعة الكوفة ـ كلية الفقه

المدرس
وردة صالح نغماش الكرعاوي

أثر الدلالة الإيحائية دراسة تحليلية في نهج البلاغة (خطبة وصف الموت أنموذجاً)

المدرس الدكتور
فضيلة عبوسي محسن العامري
جامعة الكوفة ـ كلية الفقه

المدرس
وردة صالح نغماش الكرعاوي

المقدمة:

نص لغوي وبلاغي تناولت البحوث والدراسات ألفاظه وتراكيبه في المجالات العلمية والأدبية؛ كيف لا يكون كذلك، وقد قيل في بيان صاحبه إنّه ((دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق))[١] فهو بيان أعجز أصحاب البلاغة والبيان في نظمه، تتحول الأفكار فيه إلى أنغام، وتتحول الأنغام فيه إلى أفكار، ويلتقي عليه العقل والقلب، والعاطفة والفكرة، فإذا أنت من الفكرة أمام كائن حي، متحرك، ينبض بالحياة، ويمور بالحركة. وتلك هي آية الاعجاز في كل بيان، ولم يكرس هذا البيان المعجز لمديح سلطان، أو لاستجلاب نفع بل كرس لخدمة الإنسان[٢]، ويظهر ذلك جلياً في خطبه التي تتعلق بالذات الإلهية وصفاتها، ووصف الدنيا والآخرة وثوابهما وعقابهما، والكتب والرسائل التي تحمل في طيّاتها كثيراً من الأحكام والقوانين التي تتعلق بالعبادات والمعاملات من السياسة والإدارة والقضاء، وكذلك الحكم القصار التي كانت قصيرة في تأليفها، طويلةً في مضامينها، أعجزت أرباب الهوى من النيل منه في إثبات شكّهم من جهة، وفي صحة نسبته إلى الإمام علي عليه السلام من جهة أخرى، وقد دافع ابن أبي الحديد عن نهج البلاغة قائلاً: ((كثير من أرباب الهوى يقولون إن كثيرا من نهج البلاغة كلام محدَث صنَعه قوم من فصحاء الشيعة، وربما عَزَوا بعضه إلى الرضي أبي الحسن أو غيره؛ و هؤلاء أعمت العصبية أعيُنَهم فضلوا عن النهج الواضح... وأنت إذا تأملت نهج البلاغة وجدته كله ماء واحدا، ونَفَساً واحداً، وأسلوباً واحداً؛ كالجسم البسيط الذي ليس بعض من

أبعاضه مخالفاً لباقي الأبعاض في الماهية؛ وكالقرآن العزيز، أوله كأوسطه، وأوسطه كآخره؛ وكلّ سورة منه، وكل آية مماثلة في المأخذ والمذهب والفن والطريق والنظم لباقي الآيات والسوَر))[٣] وقال الشيخ محمد عبده في وصف صاحب النهج ((... وأحياناً كنت أشهد أن عقلاً نورانيّاً لا يشبه خَلقاً جسدانياً فُصِل عن الموكب الإلهي، واتصل بالرّوح بالإنسانيّ... كأني أسمع خطيب الحِكمة، ينادي بأعلياء الكلمة، وأولياء أمر الأمة، يعرّفهم مواقع الصواب...، ويُشرف بهم على حسن المصير))[٤]، وشاء الله تعالى أن تكون لنا يد في تناول ومضة من ومضات هذا النّص الراقي في أسلوبه، وفي مصاحبة ألفاظه بعضها مع البعض؛ لنكون في صحبة ركب الدارسين له، والمستنيرين بمصاحبة دلالاته اللغوية المختلفة، لذا جاء البحث بعنوان (أثر الدلالة الإيحائية دراسة تحليلية في نهج البلاغة (خطبة وصف الموت أنموذجاً)؛ أن للدلالة أثراً كبيراً في أذهان السامعين، فهي توحي للمخاطب بالمراد من غير التصريح المباشر أو الكلام المباشر وجهاً لوجه، وفي نظري الخاص أرى أنّ الدلالة الإيحائية لا يتحقق تأثيرها في السامعين إذا لم يكونوا على معرفة أو دراية بما يقال أو بما يطرح، وهناك شيء لابد من البوح به هو أن الدلالة الإيحائية يعتمد عليها مَنْ يملك القدرة الكلامية البليغة فهي تحتاج إلى تلون الأسلوب بحسب تلون المخاطبين بغية تحقيق التأثير في السامعين، وكذلك تحتاج إلى القدرة التعبيرية المؤثرة، والمعرفة بمستوى المخاطبين، فهي ((المعنى الذي يتعلق بكلمات ذات قدرة خاصة على الإيحاء نظراً لما تتمتع به من شفافية، ولها تأثيرها في ثلاثة جوانب هي: التأثير الصوتي والصرفي والدلالي وإحداثها نوعا من الدهشة والمفاجأة))[٥] وكلّ ما يقال عن الدلالة الإيحائية وما تتطلبه قد وجدناه في خطب الإمام علي عليه السلام.

ولكنّ قيد البحث جعلنا نقتصر الدراسة على خطبة جليلة يدور فحواها بين الإنسانية بما تحمله الكلمة من معنى وبين الإنسان أعني بذلك رسم

الخطوط الصحيحة لسلوكي الدنيا والآخرة بأسلوب علمي وأدبي مؤثر وجميل فقد بدأ عليه السلام بما يخيف المستويات العقلية المختلفة على اختلاف طبقاتها الاجتماعية فقد وصف الموت بوصفٍ مؤثرٍ فقال فيه

أولاً- أثر الدلالة الإيحائية في وصف الموت فقال عليه السلام:

يتضح مما سبق أن الدلالة الإيحائية تتألف من دلالات متعددة ومجتمعة في آن واحد منها دلالة الصوت وهي التي تستمد من طبيعة بعض الأصوات في نغمها وجرسها وسماها ابن جني الدلالة اللفظية[٦]، وهذه الأصوات تجتمع مع بعضها في صيغ وتراكيبٍ مختلفة مع وقوع المناسبة بينها، وقد أشار الخليل بن احمد الفراهيدي إلى المناسبة بين اللفظ ومدلوله أو الصوت وما يدل عليه فهو يرى أن هناك اتفاقاً بين الصوت وما يدل عليه: ((صر الجندب صريرا، وهو صوته، وصرصر الاخطب صرصرة، فكأنهم توهموا في صوت الجندب مدا، وتوهموا في صوت الاخطب ترجيعا))[٧].

كما أشار سيبويه إلى هذه المناسبة بقوله: ((أو قد يختارون كلمتين للمعنى نفسه ويغيرون الحرف منها بآخر مقارب له في المخرج مثال (الغليان والغثيان) فقد ناسب العرب بالصيغة وحركاتها واقع الفعل الذي يعبرون عنه وما فيه من حركة واضطراب))[٨].

أما ابن جني فقد بوّب للدلالة الصوتية بقوله: ((فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها، فباب عظيم واسع، ونهج مُتلئِب عند عارفيه مأموم. وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سَمْتِ الأحداث المعبَّر بها عنها فيعدلّونها بها ويحتذونها عليها. وذلك أكثر ممّا نقدّره، وأضعاف ما نستشعِره))[٩].

وتحدث السيوطي عن دلالاتها الدقيقة بقوله: ((فانظر إلى بديع مناسبة الألفاظ لمعانيها، وكيف فاوتت العرب في هذه الألفاظ المقترنة المتقاربة في المعاني

فجعلت الحرف الأضعف فيها والألين والأخفى، والأسهل والأهمس، لما هو ادنى وأقل وأخف عملا أو صوتًا، وجعلت الحرف الأقوى والأشد والأظهر، والأجهر لما هو أقوى عملا وأعظم حِسًّا، ومن ذلك المدّ والمطّ؛ فإنَّ فعل المطّ أقوى؛ لأنه مد وزيادة جَذْب؛ فناسب الطاء التي هي أعلى من الدال))[١٠]، وتحدث المحدثون عن هذه الدلالة قائلين ((إن للحرف دلالة ووظيفة في تكوين المعنى وتحديده في العربية أظهر وأوضح منها في اللغات الأخرى، فالحرف في العربية ذو قيمة دلالية بارزة، وإنّ استخراج هذه المعاني الكلية التي تقيدها الحروف نحتاج إلى إحصاء شامل واستقصاء طويل))[١١]، فلكلٍّ صوت دلالة خاصة، تحمل في طياتها شيئا من المعنى العام للفظ وبهذا نجد الكلمات تختلف بعضها عن بعض في المعنى تبعا لاختلاف أصواتها[١٢]. وللكلمات دلالات ترتبط على نحو وثيق بالسياق وعلاقاته فهو الذي يعطي الإضاءة للغرض والقصد[١٣].

وجاء اختيار الإمام عليه السلام للألفاظ ذات الإيحاء النفسي، والموقع الخاص التي تخشع لها النفوس، ذلك إن كل لفظة قد ارتبطت بدلالة إيحائية خاصة عند الفرد، ومعرفة الإمام لهذه الدلالات حين جاءت مجتمعة بجملها القصار، والألفاظ ذات الجرس الصوتي مما جعل لواجهة الحدث الذي ينقله الإمام موقعا خاصا في الاعتبار والتدبر والفكر، ومن أمثلة ذلك قول الإمام عليه السلام في وصف الموت قائلاً:

((أَلاَ فَاذْكُرُوا هَادِمَ اَللَّذَّاتِ وَمُنَغِّصَ اَلشَّهَوَاتِ وَ قَاطِعَ اَلْأُمْنِيَاتِ عِنْدَ اَلْمُسَاوَرَةِ لِلْأَعْمَالِ)) [١٤]، وقد وردت فيه الدلالات الإيحائية الآتية:

١- ((هَادِمَ اَللَّذَّاتِ)).

جاء الوصف (هادم) على زنة فاعل وهذه الصيغة تدلُّ التجدد والحدوث في كل زمان ومكان فهي تجري مجرى الفعل المضارع في المعنى والعمل[١٥]، وهنا يقف العقل إذا لم يقف الضمير أمام هذه العبارة (هادم) فهي في اللغة

من الفعل (هدم) وهو في اللغة يعني القلع للبيوت[١٦]، والحروف الثلاثة (الهاء والدال والميم) لو وقفنا على مخرجها لوجدناها تبدأ (الهاء) فيها من أقصى الحلق الذي يخرج من الحنجرة ويتدفق من دون اعتراضات وعقبات في طريقه وفي هذا الصوت دلالة إيحائية تشير إلى قوة القهر والاستعلاء التي يتسم بها الموت فهو لا يحتاج إلى واسطة كما لا يعترض طريقه أحد أيضاً، و(الدال) في وسط الحلق، و(الميم) من الشفتين، وصفاتهما فـ ((الهاء حرف مهموس يكون أصلا وبدلا وزائدا فإذا كان أصلا وقع فاء وعينا ولاما فالفاء نحو هند وهدم))[١٧]، وفي ذلك دلالة إيحائية إلى عدم الاحساس بقدوم عملية الهدم، وفي أي لحظةٍ تكون، والدال حرف جهري[١٨]، والميم صوت جهري[١٩]،فهي تحوي من القوة والصلابة والعلو ما لا يحمله غيرها من الأصوات، وفي الفعل (هدم) الدلالة الإيحائية المؤثرة من المفاجأة والسرعة والوقع المؤثر في المؤثَّر من السامعين ما لا يحمله الفعل (سحب) لو استعمله الإمام علي عليه السلام وقال (ساحب اللذات)، ثمّ نقف عند كلمة (اللذات) التي جاءت بصيغة جمع المؤنث السالم ومفردها (اللذة) التي هي نقيض الألم في اللغة [٢٠] من الفعل (لذذ)، واللَّذَّةُ وهو نقي الذي يدل على أطيب وأحلى وأجمل شيء تميل إليه النفس الإنسانية بجميع مستوياتها صغيرها وكبيرها فيقال عندما يستلذ بأقل شيءٍ على سبيل المثال (الطعام لذيد) يقولها الشيخ والشاب والطفل،ومن هنا تأتي الدلالة الإيحائية التي ظاهرها يوحي بباطنها فهو عليه السلام يوحي بكلامه إلى (الموت) الذي لا يعرف صغيرا ولا كبيراً، فهو سريع المفاجأة لجميع الأصناف حتى قيل في الأدعية الموروثة (يا من قهر عباده بالموت والفناء وتوحّد بالعز والبقاء)، أما صوت الدال فهو صوت انفجاري شديد يتسم بالقوة والصد يولد وروده جرساً وايقاعاً قوياً موائماً مع موقف معاناة الإنسان في ساعة الاحتضار وخروج الروح من البدن، ويحمل صوت الميم دلالة الاتساع والانفتاح المنبثقتين من ضم الشفتين وانفتاحهما في أثناء النطق به[٢١]، أما

حرف اللام المجهور[٢٢] فيتسم بسمة الانحراف التي تحاكي الانحراف عن المسار الصحيح والضلال وطول المدة فليس الموت يهدم كلّ شيء فهناك أشياء جميلة وصالحة لا يهدمها الموت منها الصدقة الجارية والذرية الصالحة والعمل الصالح الذي يرافق الإنسان في حياته ومماته.

ويتوافق التصاق مقدمة اللسان باللثة وتعلقها بها (حين النطق به اللام) عن شدة تمسك الإنسان بالمهدوم وهي (اللذات)، أما صوت الذال فيتوافق بما يمتلكه من سمة الاستمرارية والانسيابية بحكم رخائه مع حقيقة الموت السارية على اللذات، ثمّ إن تضييق مجرى الهواء في أثناء النطق به يتوافق مع ضيق أفق هذه اللذة على الرغم من اتساعها في نظر صاحبها، كما يعبر برخاوته عن هشاشة وضعف النفس الإنسانية أمام قدرة الخالق جلّ وعلا[٢٣]، ويلحظ أن مادتي (هدم ولذذ) تحاكي بجرسيهما وايقاعهما مضمونيهما الدلالي.

فنجد إنّ الإمام عليه السلام قد وحّد الخطاب في وصف (الموت) فقد جاء مفردا في الخطبة جميعها، وبصيغة اسم الفاعل الذي يدل على التجدد والحدوث في كلّ زمان ومكان وهو مضاف، وجاء المضاف إليه بصيغة جمع المؤنث السالم في الخطبة جميعها إشارة إلى كثرة ما يتعلق به الإنسان في الحياة الدنيا.

٢- مُنَغِّصَ اَلشَّهَوَاتِ

جاء الوصف منغّص بصيغة اسم الفاعل الدالة على الاستمرار والتجدد - كما قلنا سابقاً - من الفعل المضعّف (نغّص) ويعني في اللغة عدم تمام الهناءة[٢٤]، وكما ذكرنا في الفقرة السابقة، ولكن جاءت هنا الصياغة مختلفة فقد صيغ من الفعل المزيد[٢٥] (أنغص)، ومضافاً إلى (الشهوات) التي جاء بصيغة جمع المؤنث أيضاً، فأفادت الإضافة تخصيصاً عجيباً فالموت لا ينغص كلّ شيء بل ما يشتهى فقط من الأمور الدنيئة أما الأعمال الصالحة فهي ما يصاحب الإنسان إلى قبره ويكون أنيساً له في وحشته كما تدل على ذلك

روايات أهل البيت عليهم السلام.

٣- قَاطِعَ اَلْأُمْنِيَاتِ

استعمل الإمام عليه السلام صيغة اسم الفاعل (قاطع) من الفعل الثلاثي (قطع) وهو في اللغة له دلالتان حقيقية تتعلق بقطع قضبان الشجر، ومجازية تتعلق بالهجر للودّ[٢٦]، وهي صيغة تدل على الاستمرارية أيضاً، لكن حروفها ذات دلالة موحية ومؤثرة للقارئ والسامع معاً إذ يتألف الفعل (قطع) من ثلاثة أصوات امتازت بالجهر والشدة والقوة مع سمة الاستعلاء لحرف الطاء[٢٧]، وهنا تظهر الدلالة الإيحائية التي تشير إلى أن الموت لا يقطع كلّ شيء بل يقطع (الأمنيات) فياله من تعبير دقيق، فكلّ شيء يمكن أن يبقى عالق بالإنسان من العمل الصالح أو الطالح ومن الذرية أحياناً، الا (الأمنيات) فهي عالقة في النفس الإنسانية فإذا ما مات انقطعت بانقطاعه عن الحياة الدنيا.

وسبق قوله بالأسلوب ألأمري المباشر (اذكروا) التي تدل على الاستقبال حتى أنّ بعض النحويين لم يسمِّ فعل الأمر باسمه بل أسماه بالمستقبل[٢٨]، وذهب الكوفيون إلى أنّ الأصل في الأمر للمواجهة[٢٩]، وهنا تظهر الدلالة الإيحائية في قول الإمام عليه السلام: ((ألا فاذكروا هادم اللذات...)، فالخطاب المباشر له من التأثير في نفس السامعين والقارئين من الأثر والتأثير ما لا يحققه الأسلوب الخبري، كما يدل الخطاب المباشر وبصيغة الجمع الأمري (اذكروا) على أهمية الأمر المطروح وعظمته، وجاءت الصيغة حاملة الذكرى وفي ذلك دلالة إيحائية لما يقال (ذكّر ان نفعت الذكر)، وفيه أيضاً دلالة إيحائية أخرى هي ذكر الإنسان نهايته مهما كان المقام رئيساً أو مرؤوساً، حاكماً أو محكوماً فنهايته محتومة هي الموت القاهر.

دلالة الإضافة:

الإضافة وسيلة تعريفية، لها مقاصد خطابية متعددة، وذلك أن الاسم

المضاف يكتسب من المضاف إليه سمة التوضيح والتعيين والتخصيص، فضلا عن قيم ثانوية، وهي تعني النسبة بين شيئين فهي ((حالة نسبية متكررة، بحيث لا تعقل إحداهما إلا مع الأخرى، كالأبوة والبنوة، وهي النسبة العارضة للشيء بالقياس إلى نسبة أخرى، كالأبوة والبنوة، وهي امتزاج اسمين على وجه يفيد تعريفاً أو تخصيصا))[٣٠].

وذكر الفيومي الإضافة عند النحويين مبيناً أغراضها قائلاً: ((وَالْإِضَافَةُ فِي اصْطِلَاحِ النُّحَاةِ مِنْ هَذَا لِأَنَّ الْأَوَّلَ يُضَمُّ إلى الثَّانِي لِيَكْتَسِبَ مِنْهُ التَّعْرِيفَ أَوْ التَّخْصِيصَ))[٣١]، ويرى بعض البلاغيين أن الإضافة في الاسم كالإسناد في الفعل[٣٢] وقد جاءت الإضافة في خطبة الإمام عليه السلام إلى صيغة جمع المؤنث السالم (اللذات، الشهوات)،ومفردهما (لذة، وشهوة) وهما غير حقيقي التأنيث في الخطبة السابقة؛ وفي ذلك دلالة إيحائية إلى كثرة اللذات والشهوات ثم فصل بينها وبين أصحابها بسرعة وفجأة لا يعلمها الا الله تعالى، فوقع فاصل معنوي إيحائي بينهما، كما وقع الفاصل الحقيقي اللفظي في القرآن الكريم فقد ((جاء جمع المؤنث السالم في القرآن ومفرده مؤنث غير حقيقي التأنيث في آيات كثيرة بتذكير الفعل وتأنيثه. وفي أكثرها وجد فاصل بين الفعل وفاعله إما بالمفعول أو بغيره))[٣٣].

ثانياً: أثر الدلالة الإيحائية في وصف ملك الموت في نهج البلاغة.

وردت هذه الدلالة في خطبة له عليه السلام يذكر فيها ملك الموت و توفيه الأنفس قائلاً عليه السلام: ((هَلْ تُحِسُّ يُحَسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلاً أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَداً بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَ يَلِجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا أَمْ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا كَيْفَ يَصِفُ إِلَهَهُ مَنْ يَعْجَزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ))[٣٤].

يؤكد الإمام عليه السلام في هذه الخطبة ما ذكره سابقاً في وصف الموت فيصف

هنا ملك الموت بقوله عليه السلام: ((هَلْ تُحِسُّ يُحَسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلاً أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَداً...)) [٣٥] فقد بدأ الإمام عليه السلام بأسلوب استفهام راقٍ فقد أفاد النفي والتنبيه في آن واحد، وقد استعمل عليه السلام حرف الاستفهام (هل) الذي يفيد التصديق فقط أي طلب إدراك النسبة[٣٦] بخلاف أدوات الاستفهام الأخرى، ولم يستعمل الهمزة التي تفيد التصور والتصديق في آن واحد للدلالة على حدية الموقف وقوة وعظمة المستفهم عنه وأهمية المهمة التي أناطت به من قبل الله - سبحانه وتعالى-، وصاحب ذلك صيغة المبني للمجهول (يُحسّ) بصيغة المضارع المبني للمجهول للدلالة على التجدد والحدوث في دخول ملك الموت مع عدم الإحساس به في آن واحد فوافق على ذلك صيغة البناء للمجهول التي تدل على خفاء الفاعل، وقيام المفعول به مقامه،وهنا يقف العقل عند الدلالة الإيحائية العجيبة والبليغة وهي أنك لا تحس بملك الموت إذا دخل مكاناً ما، ولكن ترى أثره بمَنْ فقد الروح فتقول تلقائياً (مات فلان)، لا تقول (أمات ملك الموت فلان) فكأنّ الفعل بني للمجهول حساً لذا استعمل الإمام عليه السلام الفعل (يحسّ) ولم يستعمل فعلاً آخر يدل على الرؤية المباشرة في حال دخول ملك الموت دار أي شخص توفاه الله تعالى.

ومما يلفت النظر هو الدلالة الإيحائية التي وردت في اختيار صيغة (يُحسّ) التي بنيت للمجهول على غير القياس من الفعل اللازم (يحس)؛ لأنّ ((المبني للمجهول قد يكون سماعاً من اللازم نحو جن))[٣٧]، وفي ذلك إشارة من حيث لا ندري إلى عدم معرفة الطريقة التي يحدث في أثنائها الموت فكما يقال (تعددت الأسباب والموت واحد)، فنحن نسمع بالموت ولا نرى من أين يدخل ملك الموت الموكّل به من الله تعالى فجاءت الصيغة السماعية مطابقة في دلالتها الإيحائية لمعنى الموت، وهنا تظهر البلاغة الإيحائية العجيبة في اختيار

القول المناسب في المقام المناسب كما يقول البلاغيون.

دلالة التكرار:

يستعمل التكرار في تأكيد القول للسامع، ((وللتكرار مواضع يحسن فيها، ومواضع يقبح فيها، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعانى، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل))[٣٨]، وقد استعمل الإمام عليه السلام اسلوب التكرار ليؤكّد القول للسامع[٣٩] بتكرار الاستفهام بـ(هل) وكذلك ادخال (أم) التي هي حرف الاستفهام عند بعض النحويين على حرف الاستفهام (هل)، وتفيد الاضراب أي بمعنى (بل) وتسمى أم المنقطعة مع الاستفهام الذي يتضمن إنكاراً أو طلباً عند بعضهم الآخر[٤٠]، وفي ذلك تظهر الدلالة الإيحائية وتجلياتها إذ لم يقصد الإمام عليه السلام الإجابة منهم على جهة الاستفهام ،وإنما كانت الغاية من التكرير هي التقرير[٤١] بنفي القدرة على الحس أو الرؤية لملك الموت عليه السلام.

ويؤكد عليه السلام هذه الدلالة الإيحائية بما جاء في قوله عليه السلام مستعملاً الفعل الذي يدل على الرؤية وبصيغة المخاطب قائلاً (أم هل تراه...) في حال إذا توفى أحداً ما من خلال مفارقة الروح الجسد، وبيان أثر ذلك على الشخص الميت، وليس رؤية حقيقية لملك الموت نفسه.

ثمّ يستعمل الإمام عليه السلام حرف العطف (بل) الذي يفيد معنى الإضراب عن الأول منفياً أو موجباً[٤٢]، و يؤكّد دلالة ما قبله فلا ينفي ماوجب للأول في قوله عليه السلام ((بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّه)) بأسلوب استفهامي أفاد معنى التعجب يتصدرّه أداة الاستفهام الدالة على الحال (كيف)[٤٣] مع اختلاف صيغة الفعل التي تدل على الوفاة فقد جاءت مع الرؤية بصيغة الماضي (توفّى) المسبوق بأداة الشرط (إذا) التي تكون ظرفاً لما يستقبل من الزمان، وكثر مجيء الماضي بعدها، مراداً به الاستقبال[٤٤]، للدلالة الإيحائية

على وقوع الموت فعلاً في شخص ما قد رأته العين ميتاً مع إثارة التعجب؛ ((لأن التعجب إنما يكون مما وقع وثبت ليس مما يمكن أن يكون))[٤٥]، في حين استعمل الإمام عليه السلام هنا الفعل المضارع (يتوفى) مع الجنين؛ لأنه لم يولد بعد من جهة، ولم يره أحداً ميتاً فعلاً بأم عينه كما يقال قبل الخروج من بطن الأم إلى عالم الحياة، فالجنين في اللغة هو ((الوَلَدُ في الرَّحِم))[٤٦].

دلالة الاستفهام:

استعمل الإمام عليه السلام الهمزة وهي الأصل في الاستفهام الطالب للتصدر، ويستفهم فيها عن نسبة [٤٧]، وتدل على التصور والتصديق أي طلب إدراك المفرد والنسبة[٤٨] ،وفي ذلك يضع الإمام عليه السلام أمام المتلقي سعة الخيارات لاثارة التفكير والتنبيه إلى قدرة الخالق تعالى فيضع الخيارات التي تستفهم عن أية نسبة لمعرفتهم في دخول ملك الموت،ليظهر العجز واضحاً من غير التصريح فيضع عليه السلام بين يدي المتلقي جواهر لفظية تحمل من الدلالة الإيحائية ما لا يحمله أي كلام آخر فهو يقول عليه السلام: ((أيلج عليه من بعض جوارحها أم الروح أجابته بإذن ربها، أم ساكن معه في أحشائها))،وهنا تأتي الدلالة الإيحائية بربط ذلك كله مع أمر الله تعالى بقوله (بأذن ربها)، ثم يلحق ذلك بما لايدركه الإنسان وهو وجود ملك الموت مع أحشاء الأم وهنا يعجز الإنسان تماماً عن الإجابة والخضوع لقدرة الخالق - سبحانه وتعالى - ثم يختم خطبته بالكيفية الدالة على التعجب من السامعين وبيان عجزهم الصريح بقوله ((كَيْفَ يَصِفُ إِلَهَهُ مَنْ يَعْجَزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ))، وفي هذا النص دلالة إيحائية إلى بيان عجز الإنسان في وصف أصغر مرحلة من مراحل تكوينه هو نفسه،وهي مرحلة الجنين الذي تكامل خلقه مع صغر حجمه من كيفية موته في بطن أمه وهو مثله أي مرّ بتلك المرحلة من مراحل تكوين الطفل المخلوق في بطن أمه؛ فكيف يصف (الإله) ولم يقل (الخالق أو الصانع) ففي ذلك دلالة إيحائية أيضاً

إلى معنى العبودية والخضوع التام للخالق والمميت وهو الله سبحانه وتعالى، وتشير إلى ذلك الدلالة اللغوية للفظة (الإله) ((بأنّه الذي تَحِقُّ له العبادةُ وتجب))[٤٩]، وفي أثناء هذه المقارنة الإيحائية العجيبة في اسلوبها يبان الفارق بين الخالق والمخلوق وبين الإله والمعبود.

الخاتمة ونتائج البحث

١- إن للدلالة الإيحائية أثراً كبيراً في تحقيق التأثير على السامع والقارئ فهي تتضمن كثيراً من المعاني البليغة التي يغني الإيحاء عن التصريح بها.

٢- انّ الدلالة الإيحائية تحمل في طياتها دلالات عدة في آن واحد منها دلالة الاستفهام ودلالة الإضافة ودلالة الصيغة ودلالة الصوت إلى غيرها من الدلالات الإيحائية فضلاً عن الدلالة النفسية الآنية التي لا يستطيع خطها القلم أو يحفظها الكتاب بل السامع أو القاري يحس بهذه الدلالة النفسية وما يترتب عليها من آثار التوبة والتدبر والتفكر في قدرة الخالق- تعالى- وما يترتب على ذلك من الندم وطلب التوبة لاسيما إذا كان السامع على مستوى من الثقافة الدينية والتربية الاجتماعية الصالحة التي تكون بعيدة عن المؤثرات الخارجية لاسيما سموم الحضارات الغربية من الانترنت والفيس بوك وغيرها من الوسائل التي تكون طريقا للصلاح حينا وطريقا للهدم والهلاك حيناً آخر بحسب مراعاة القيم الدينية والضوابط الاجتماعية.

٣- انّ الدلالة الإيحائية لا يحققها أيّ نص كما لا يحققها أيّ متكلم فلابدّ من صفات يتصف بها الخطيب أو المتكلّم من الفصاحة والبلاغة والبيان وهذا ما وجدناه في خطبة أمير المؤمنين عليه السلام.

٤- إنّ الدلالة الإيحائية تمتاز بقلة الألفاظ مع التضمين للمعاني البليغة الكثيرة المؤثرة فهي تجمع بين الوسيلة والغاية في آنٍ واحد.

٥- أرى أنّ الدلالة الإيحائية لا تعي مضامينها الطبقات الاجتماعية بمستوياتها المختلفة فهي تتطلب من المتلقي الثقافة وسعة الاطلاع والإلمام بعلوم العربية التي تتعلق بالصوت والصرف والنحو والبلاغة.

٦- مع هذه المتطلبات التي ذكرت للدلالة الإيحائية فقد استطاع الإمام عليه السلام أن يؤثر في السامع والقارئ، ودراسة البحث هذا خير دليل على ذلك.

هوامش البحث

(١) شرح نهج البلاغة، محمد عبده: ١٨.

(٢) ينظر: دراسات في نهج البلاغة،محمد مهدي شمس الدين: ٤.

(٣) شرح نهج البلاغة،ابن أبي الحديد: ٩/١.

(٤) جواهر الأدب، أحمد الهاشمي: ٣٧٧.

(٥) تجليات الدلالة الإيحائية، د. فخرية غريب قادر: ١١، وينظر: مصطلحات الدلالة العربية، جاسم محمد عبد العبود: ١٢٤- ١٢٥.

(٦) ينظر: الخصائص، ابن جني: ٩٨/٣.

(٧) كتاب العين: ٥٦/١.

(٨) كتاب سيبويه: ٢١٨/٢.

(٩) الخصائص: ١٥٧/٢.

(١٠) المزهر، السيوطي: ٥٩/١.

(١١) فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك: ١٧٦، وينظر: ابنية المشتقات دراسة دلالية، ميثاق الصيمري: ١٨٠.

(١٢) الأضداد في اللغة، محمد حسين آل ياسين: ٢٧.

(١٣) علم الدلالة العربي، فايز الداية: ١٩٥.

(١٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧(خ ٩٨)

(١٥) ينظر: كتاب سيبويه: ٣٥/١.

(١٦) ينظر: كتاب العين، الخليل : ٣٠/٤ مادة (هدم)، وينظر: لسان العرب، ابن منظور: ٦٠٣/١٢.
(١٧) سر صناعة الاعراب، ابن جني: ٥٥١/٢.
(١٨) ينظر: سر صناعة الإعراب: ٦٥/١.
(١٩) ينظر: المصدر نفسه: ٤١٣/١.
(٢٠) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ٥٠٦/٣ مادة (لذذ).
(٢١) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها،حسن عباس: ٩.
(٢٢) ينظر: سر صناعة الاعراب: ٣٢١/١.
(٢٣) ينظر: سر صناعة الاعراب: ١٨٩/١، المدخل إلى علم الأصوات العربية، غانم قدوري الحمد، ويرى ابن جني أن (الذال) حرف مجهور.
(٢٤) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ٩٩/٧ مادة (نغص).
(٢٥) ينظر: شرح الأشموني: ٥٥/٢.
(٢٦) ينظر: أساس البلاغة، الزمخشري: ١/ ٣٨٣.
(٢٧) ينظر: سر صناعة الاعراب: ٢١٧/١، ٢٢٩، ٢٧٧.
(٢٨) ينظر: حاشية الصبان، علي بن محمد الصبان: ١٣٤/١، الأصول، ابن السراج: ٣٨/١.
(٢٩) ينظر: الأنصاف، أبو بركات الانباري: ٥٢٤/٢.
(٣٠) التعريفات، الجرجاني: ٨.
(٣١) المصباح المنير، الفيومي: ٣٧٠/٥ - ٣٧١.
(٣٢) ينظر: أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني: ١٤٠.
(٣٣) دليل السالك إلى الفية ابن مالك، عبد الله الفوزان: ٣٤١/١.
(٣٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧/ (خ١١١).
(٣٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧/ (خ١١١).
(٣٦) ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام: ٣٤/١، معجم القواعد العربية، عبد الغني الدقر:٤٢/٢.
(٣٧) ينظر: حاشية الصبان: ١١٥٩/١.
(٣٨) العمدة، ابن رشيق القيرواني: . ٣٤
(٣٩) ينظر: الصناعتين، أبو هلال العسكري: ٦٠.
(٤٠) ينظر: الجنى الداني، المرادي: ٣٤/١، وينظر: مغني اللبيب، ابن هشام: ١٦/١.
(٤١) ينظر: المقتضب، المبرد: ١٩٦/١.
(٤٢) ينظر: المفصل في صنعة الاعراب، الزمخشري: ٤٠٥.
(٤٣) ينظر: حروف المعاني، الزجاجي:٣٥.
(٤٤) ينظر: الجنى الداني، المرادي: ٦١/١.

(٤٥) ينظر: الأصول، ابن السراج: ٩٩/١.
(٤٦) المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد: ٨٠/٢.
(٤٧) ينظر: شرح الكافية، الرضي الاستراباذي: ١٨٩٣/١، وينظر: جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني: ٨٩/١.
(٤٨) ينظر: معجم القواعد العربية،عبد الغني الدقر: ٤٢/٢.
(٤٩) ينظر: المخصص، ابن سيدة: ٢٨٩/٤.

قائمة المصادر والمراجع

١- أبنية المشتقات في نهج البلاغة: ميثاق علي عبد الزهرة الصيمري، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠٠٣م.

٢- اساس البلاغة: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٣- أسرار البلاغة في علم البيان: عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان: ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

٤- الأصول في النحو: أبو بكر بن السراج البغدادي (ت٣١٦هـ)، تح: د. عبد الحسين الفتلي، ط٣، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨م.

٥- الأنصاف الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (ت٥٧٧هـ)، قدم له ووضع هوامشه:حسن حمد، اشراف: إميل بديع يعقوب، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٦- تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني في ضوء اللسانيات المعاصرة سورة التوبة أنموذجاً: د. فخرية غريب قادر، ط١، عالم الكتب، اربد، الأردن، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٧- التعريفات: أبو الحسن علي بن محمد الشريف الجرجاني (٨١٦هـ)، مكتبة لبنان، بيروت- لبنان، ١٩٧٨م.

٨- جامع الدروس العربية: مصطفى الغلاييني، ط١، مطبعة ستارة، دار الكوخ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٩- الجنى الداني في حروف المعاني: حسن بن قاسم المرادي (ت٧٤٩هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة و أ. محمد نديم فاضل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١٠- جواهر الأدب: السيد أحمد الهاشمي، مطبعة السعادة، ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م.

١١- حاشية الصبان على شرح الاشموني على ألفية ابن مالك: علي بن محمد الصبان (١٢٠٦هـ)، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، قم، إيران، د. ت.

١٢- حروف المعاني: أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي (٣٣٧هـ)، تحقيق: د. علي توفيق الحمد، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الأمل، الأردن، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٣- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية، سلسلة كنوز التراث، بغداد، ١٩٩٠م، د. ط.

١٤- خصائص الحروف العربية ومعانيها:حسن عباس،منشورات اتحاد الكتاب العرب،١٩٩٨م.

١٥- دراسات في نهج البلاغة: محمد مهدي شمس الدين، ط٢، دار الزهراء، بيروت، لبنان، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

١٦- دليل السالك إلى الفية ابن مالك:عبد الله الفوزان،ط٢٠٠٠،١م.

١٧- سر صناعة الإعراب:أبو الفتح عثمان بن جني(ت ٢٧٦هـ)،تحقيق: د.حسن هنداوي،ط١، الناشر : دار القلم - دمشق، ١٩٨٥.

١٨- شرح الاشموني: أبو الحسن نور الدين علي بن محمد بن عيسى (٩٠٠هـ)، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: حسن حمد، إشراف: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م.

١٩- شرح الرضي على كافية ابن الحاجب: الرضي الاستراباذي (٦٨٨هـ)، وضع هوامشه: د.اميل يعقوب، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٢٠- شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك (بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري) (٧٦٩هـ)، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، منشورات سيد الشّهداء، (د.ط).

٢١- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد (٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر.

٢٢- شرح نهج البلاغة: شرح الشيخ محمد عبده، حققه وزاد في شرحه: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة الاستقامة - مصر، د. ت.

٢٣- الصناعتين: أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت،١٩٨٦م.

٢٤- العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده: أبو علي الحسن بن رشيق الازدي (٤٥٦هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت - لبنان، د.ت.

٢٥- العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي،ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٨م.

٢٦- كتاب سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بـ((سيبويه)) (ت١٨٠هـ)، تحقيق: د. إميل بديع يعقوب، ط١، منشورات: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٧- لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، لبنان، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨.

٢٨- المحيط في اللغة: الصاحب إسماعيل بن عباد (٢٨٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٤م.

٢٩- المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بـ (ابن سيده) (٤٥٨هـ)، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د. ت.

٣٠- المدخل إلى علم الأصوات العربية:غانم قدوري الحمد،المجمع العلمي،٢٠٠٢م.

٣١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرفاعي: احمد بن محمد الفيومي (٧٧٠هـ)، ط١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

٣٢- مصطلحات الدلالة العربية:جاسم محمد عبد العبود، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م.

٣٣- معجم القواعد العربية : الشيخ عبد الغني الدقر، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤(د.ت)

٣٤- المفصل في صنعة الإعراب: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ)، قدم له وبوّبه: د. علي بوملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م.

٣٥- المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق هضيمة، ط٢، القاهرة، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.